نصوص الاستماع للغة العربية ج١ للصف الخامس الأساسيّ

الدَّرْسُ الأَوَّلُ

يَجودُ عَلَيَّ بِشَيْءٍ فَأَبْخَلُ بِهِ!

خَرَجَ عُمَرُ بنُ عُبَيْدٍ– رَحِمَهُ اللهُ– يَوْماً إِلى الْباديَةِ، وكانَ يُعْرَفُ بِكَرَمِهِ، وَبَيْنَما هُوَ في الطَّريقِ مَرَّ بِبُسْتانٍ، فَرَأى رَجُلاً يَجْلِسُ بِجِوارِ حائِطِ الْبُسْتانِ؛ لِيَأْكُلَ، وَأَمامَهُ رَغيفانِ، فَاقْتَرَبَ مِنْهُ كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَكادُ يَأْكُلُ التُّرابَ مِنْ شِدَّةِ الْجوعِ، فَأَلْقى إِلَيْهِ الرَّغيفَ الْأَوَّلَ، فَأَكَلَهُ، ثُمَّ أَلْقى إِلَيْهِ الرَّغيفَ الثّاني، فَأَكَلَهُ، فَأَخَذَ عُمَرُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَيَعْجَبُ مِمّا فَعَلَ.

اقْتَرَبَ عُمَرُ بنُ عُبَيْدٍ مِنْهُ، وَسَأَلَهُ: أَهذا الْكَلْبُ لَكَ؟ قالَ الرَّجُلُ: لا. قالَ عُمَرُ: كَمْ أُجْرَتُكَ في الْيَوْمِ؟ قالَ: رَغيفانِ. فَقالَ لَهُ عُمَرُ: وَأَطْعَمْتَهُما لِلْكَلْبِ؟! أَجابَ الرَّجُلُ: هذِهِ المَنْطِقَةُ لَيْسَ فيها كِلابٌ، وَما جاءَ بِهذا الْكَلْبِ إِلى هُنا إِلّا الْجوعُ، وإِنّي لَأَسْتَحي مِنَ اللهِ أَنْ آكُلَ وَأَمامي جائِعٌ يَنْظُرُ إِلَيَّ. فَقالَ عُمَرُ: وَكَيْفَ سَتَقْضي بَقِيَّةَ يَوْمِكَ وَلَيْلَتِكَ؟ قالَ الرَّجُلُ: أَقْضيهِما جائِعاً.

سَأَلَهُ عُمَرُ: مَنْ صاحِبُ هذا البُسْتانِ؟ قالَ: إِنَّه لِفُلانٍ، فَذَهَبَ عُمَرُ مِنْ فَوْرِهِ إِلى صاحِبِ الْبُسْتانِ، وَاشْتَراهُ مِنْهُ، وَعادَ إِلَى الرَّجُلِ، فَقالَ لَهُ: أَبْشِرْ، هذا الْبُسْتانُ لَكَ، فَقَدِ اشْتَرَيْتُهُ، وَوَهَبْتُهُ لَكَ، فَقالَ الرَّجُلُ: أُشْهِدُكَ أَنّي جَعَلْتُ ثِمارَهُ لِلْفُقَراءِ. تَعَجَّبَ عُمَرُ، وَقالَ: أَتَفْعَلُ هذا مَعَ شِدَّةِ فَقْرِكَ وَحاجَتِكَ؟! فَرَدَّ الرَّجُلُ: إِنّي لَأَسْتَحي مِنَ اللهِ أَنْ يَجودَ عَلَيَّ بِشَيْءٍ فَأَبْخَلَ بِهِ عَلى مُحْتاجٍ.

(المحاسِن والمساوئ/ إبراهيم بن محمد البيهقي/ بتصرف)

الدَّرْسُ الثّاني

سِرُّ الْغِيابِ

كانَتْ عائلَةُ ثائرٍ عالَمَهُ الَّذي يُحِبُّ، تَرْقُبُ زَوْجَتُهُ وَأَوْلادُهُ عَوْدَتَهُ بِفارِغِ الصَّبْرِ، يَسْتَقْبِلونَهُ بِابْتِساماتِهِمُ المُشْرِقَةِ، وَفي الْمَساءِ يَجْتَمِعُ أَفرادُ الْعائلَةِ يَتَسامَرونَ.

وَلكِنَّ ثائراً بَدَأَ يَتَأَخَّرُ عَنِ الْبَيْتِ، عَلى غَيْرِ عادَتِهِ، لَمْ تَعُدْ زَهْرَةُ تَحْتَمِلُ ذلكَ، وَدَخَلَ الْقَلَقُ قَلْبَها، سَأَلَتْهُ مَرَّةً عَنْ سَبَبِ تَأَخُّرِهِ، فَقالَ لَها: إِنَّني أَعْمَلُ مِنْ أَجْلِ أَوْلادِنا. فَسَكَتَتْ؛ لِأَنَّها تُحِبُّهُ كثيراً، وَلَمْ يَكُنْ أَمامَها إِلّا الصَّبْرُ.

وَفي إِحْدى اللَّيالي الْمُظْلِمَةِ جاءَهُ رَجُلٌ، انْزَوَيا بَعيداً، تَكَلَّما بِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ، أَيْقَنَتْ زَهْرَةُ أَنَّ هُناكَ أَمْراً ما سَيَحْدُثُ، فَزادَ خَوْفُها مِمّا يُخْفيهِ زَوْجُها.

وَقالَتْ لَهُ: مَنْ هذا الرَّجُلُ؟

أَجابَ: لا عَلَيْكِ، وَلا داعِيَ لِلْخَوْفِ.

رَدَّتْ عَلَيْهِ حَزينَةً: كَيْفَ لا، وَقَدْ أَصْبَحْتَ عَلى غَيْرِ ما عَهِدْناكَ، أَلَمْ تَعُدْ تُحِبُّنا؟

أَجابَ: بَلى، أَنْتُمْ غالونَ عِنْدي مِثْلُ الوَطَنِ.

زادَ قَلَقُها، وَأَيْقَنَتْ أَنَّ ما يَقومُ بِهِ فيهِ غُموضٌ، سَلَّمَتْ أَمْرَها إِلى اللهِ، وَأَخْفَتْ خَوْفَها، وَحَضَنَتْ أَطْفالَها، وَبَعْدَما دَخَلَتْ زَهْرَةُ وَأَبْناؤُها في نَوْمٍ عَميقٍ انْسَلَّ ثائِرٌ مِنَ الْبَيْتِ دونَ أَنْ يَشْعُرَ بِهِ أَحَدٌ.

في الصَّباحِ، اسْتَيْقَظَتْ زَهْرَةُ فَلَمْ تَجِدْهُ، بَعْدَ قَليلٍ جاءَ الرِّجالُ يَحْمِلونَهُ عَلى الْأَكْتافِ وَيُكَبِّرونَ، فَقَدْ قَتَلَتْهُ قُوَّةٌ مِنْ جُنودِ الاحْتِلالِ الصُّهيونِيِّ، بَعْدَما اشْتَبَكَ مَعَهُمْ، أَخْبَروها أَنَّهُ كانَ أَسَداً يَنْقَضُّ عَلى أَعْدائِه، وَكانوا يَفِرّونَ مِنْ أَمامِهِ مَذْعورينَ، نَظَرَتْ إِلَيْهِ تارَةً، وَإِلى أَبْنائِها أُخْرى، وَالدُّموعُ تَتَرَقْرَقُ في عَيْنَيْها، صَمَتَتْ قَليلاً، ثُمَّ خَرَجَتْ مِنْها زُغْرودَةٌ مُدَوِّيَةٌ، وَدَّعَتْ بِها الشَّهيدَ بَعْدَما أَدْرَكَتْ سِرَّ غِيابِهِ، وَقالَتْ: سَيَرْقُدُ اللَّيْلَةَ في حِضْنِ وَطَنِهِ هانِئاً.

الدَّرْسُ الثّالِثُ

أَبائِعٌ أَنْتَ أَمْ مُشْتَرٍ؟!

مِنْ جَميلِ ما يُرْوى أَنَّ الصَّحابِيَّ الجَليلَ جَريرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَرْسَلَ ابْناً لَهُ يَوْماً إِلى السّوقِ؛ لِيَشْتَرِيَ لَهُ فَرَساً، فَوَجَدَ الابْنُ فَرَساً جَميلَةً، وَبَعْدَ مُساوَمَةٍ مَعَ الْبائِعِ اسْتَقَرَّ الثَّمَنُ عَلى ثَلاثِمِئَةِ دِرْهَمٍ.

قالَ الابْنُ لِلْبائِعِ: هَيّا نَذْهَبْ إِلى أَبي؛ لِيُعْطيكَ الثَّمَنَ، وَلَمّا وَصَلا جَريراً، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قالَ لِابْنِهِ: بِكَمِ اشْتَرَيْتَ الْفَرَسَ؟ قالَ: بِثَلاثِمِئَةِ دِرْهَمٍ، وَكانَ مِنَ المُتَوَقَّعِ أَنْ يُخَفِّضَ جَريرٌ، كَعادَةِ الْمُشْتَرينَ مِنَ الثَّمَنِ، وَلَكِنَّ الْمُفاجَأَةَ أَنَّهُ قالَ لِلبائِعِ: أَتَبيعُها بِأَرْبَعِمِئَةِ دِرْهَمٍ؟ عَجِبَ الْبائِعُ، وَسَكَتَ. قالَ جَريرٌ: أَتَبيعُها بِخَمْسِمِئَةٍ؟ زادَ عَجَبُ البائِعِ وَصَمَتَ. قالَ جَريرٌ: أَتَبيعُها بِستِّمِئَةٍ؟ زادَ عَجَبُ البائِعِ، وَضَبَطَ نَفْسَهُ، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ. قالَ جَريرٌ: أَتَبيعُها بِسَبْعِمِئَةِ دِرْهَمٍ؟

لَمْ يُطِقِ الْبائِعُ صَبْراً، فَقالَ: أَبائِعٌ أَنْتَ أَمْ مُشْتَرٍ؟! ما رَأَيْتُ مُشْتَرِياً مِنْ قَبْلُ يَزيدُ في ثَمَنِ ما سَيَشْتَري إِلّا أَنْتَ، فَما شَأْنُكَ؟

قالَ جَريرٌ: لَقَدْ عاهَدْتُ رَسولَ اللهِ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ أَنْصَحَ كُلَّ مُسْلِمٍ، وَفَرَسُكَ، يا أَخي، تُساوي سَبْعَمِئَةِ دِرْهَمٍ، وَلَوْ أَخَذْتُها بِأَقَلَّ مِنْ ذلِكَ لَخُنْتُ عَهْدَ رَسولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَبُّنا قالَ:" وَلا تَبْخَسوا النّاسَ أَشْياءَهُمْ"(الأعراف:٨٥).

(معجم الطبراني/ بتصرف)

الدَّرْسُ الرّابعُ

شابٌّ في قِطار

اتّخَذَ الشّابُّ ذو الخَمْسَةِ وَالعِشْرينَ عاماً جانِبَ النّافِذَةِ في القِطارِ، وَإِلى جانِبِهِ والِدُهُ العَجوزُ، وَحينَما تَحَرَّكَ القِطارُ، كانَ صَوْتُ الشّابِّ المَبْهورِ بِكُلِّ شَيْءٍ لا يَكادُ يَسْكُتُ، يَنْظُرُ حَوالَيهِ مُنعِماً النَّظَرَ في كُلِّ الأَشْياءِ، يَسْتَفْهِمُ تارَةً، وَيَتَعَجَّبُ أُخْرى.

– رَبّاهُ ما أضخَمَ القِطارَ! لَمْ أَكُنْ لِأَتصوَّرَ أَنّهُ بِهذا الحَجْمِ.

يَبْتَسِمُ لَهُ والِدُهُ وَيُرَبِّتُ عَلى كَتِفِه.

يَنْظُرُ الشّابُّ عَبْرَ نافِذَةِ القِطارِ، وَيصرُخُ مُتسائلاً:

– أَبي انْظُرْ إِلى السَّماءِ، ما هذا الّذي يُحَلِّقُ عالِياً؟

– إِنّه طائِرُ النَّسْرِ يا عَزيزي.

– يا إِلهي، كَمْ هُوَ جَميلٌ!

– انْظُرْ، يا أَبي، إِلى الْأَشْجارِ إِنَّها طَويلَةٌ وَجَميلَةُ اللّوْنِ، لَمْ أَكُنْ أَتَخَيَّلُ أَنَّها بِهذِهِ الرَّوعَةِ.

وَاسْتَمَرَّ يَسْتَرْسِلُ في تَعْليقاتِهِ بِصَوْتٍ عالٍ، يَسمَعُهُ كُلُّ مَنْ في مَقْصورَةِ الْقِطارِ، حَتّى إِنَّ بَعْضَ الْجالِسينَ في مَقاعِدِهِمْ تَطَلَّعوا إِلَيْهِ بِعَجَبٍ، بَينما آخَرونَ أَخَذوا يَتَهامَسونَ فيما بَينَهُمْ مِنْ غَرابَةِ المَشْهَدِ، تَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الأَبِ العَجوزِ، وَخاطَبَه بِأَسىً: يَبدو أَنَّ ابنَكَ لَيسَ في حالَةٍ جَيِّدةٍ، حَبّذا لَو تَعرِضُهُ عَلى طَبيبٍ نَفْسِيٍّ.

تَطَلَّعَ إِليهِ العَجوزُ بِصَمْتٍ امتَدَّ بُرْهَةً، ثُمَّ قالَ: في الحَقيقَةِ، ابْني هذا الّذي تَراهُ مُنْدَهِشًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، يُبْصِرُ لِأَوّلِ مَرَّةٍ بَعْدَ خَمْسَةٍ وَعِشْرينَ عامًا قَضاها في العَمى.

(لَيْلى البَلوشي/ بِتَصَرُّفٍ)

الدَّرْسُ الخامِسُ

أَنْتُم ضُيوفُنا

انْطَلَقَتْ عائِلَةٌ صَغيرَةٌ في رِحْلَةٍ سِياحِيَّةٍ سَيْراً عَلى الأَقْدامِ، كانَ مَرْأى الجِبالِ الشّاهِقَةِ، وَالوُدْيانِ، وَالأَشْجارِ الكَبيرَةِ، وَالزُّهورِ وَالوُرودِ مِنْ كُلِّ شَكْلٍ وَلَوْنٍ يَأْسِرُ القُلوبَ، وَيَسْحَرُ العُيونَ، فَلَمْ يَتَنَبَّهوا إِلى مُرورِ الوَقْتِ، فَدَهَمَهُم اللَّيْلُ.

أَرادوا العَوْدَةَ مِنْ حَيْثُ أَتَوْا، وَلكِنَّ ظُلْمَةَ اللَّيْلِ وَكَثافَةَ الأَشْجارِ جَعَلَتْهُم يَضِلّونَ الطَّريقَ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَمْ يَتَوَقَّفوا عَنِ السَّيْرِ، وَمِنْ بَعيدٍ رَأَوْا أَضْواءً خافِتَةً، فَمَشَوْا نَحْوَ الضَّوْءِ، إِلى أَنْ وَصَلوا أَطْرافَ قَرْيَةٍ صَغيرةٍ، فَإِذا بِبَيْتٍ فيهِ عَجوزٌ وَزَوجَتُهُ، سَأَلوهُما عَنِ الطَّريقِ، فَقالا: الطَّريقُ المُؤَدِّيَةُ إِلى المَدينَةِ بعيدَةٌ مِنْ هُنا، وَأَنْتم ضُيوفُنا، فَناموا لَيْلَتَكُم، وَفي الصَّباحِ تُكْمِلونَ طَريقَكُم.

قَدَّمَ العَجوزُ وَزَوْجَتُهُ لِلضُّيوفِ ما اسْتَطاعا مِنَ الضِّيافَةِ، وَجَهَّزا لَهُم مَكانَ نَوْمِهِم، وَلِشِدَّةِ تَعَبِهِم ناموا سَريعاً دونَ أَنْ يَتَبَيَّنوا شَيْئاً مِنْ تَفاصيلِ البَيْتِ.

وَمَعَ إِشراقَةِ شَمْسِ الصَّباحِ اسْتَيْقَظَ الضُّيوفُ، فَفوجِئوا بِالعَجوزِ وَزَوجَتِهِ يَنامانِ تَحْتَ شَجَرَةٍ مُجاوِرَةٍ لِبَيْتِهِم، فَلَمْ يَكُنْ في البَيْتِ الصَّغيرِ غَيْرُ غُرْفَةٍ واحِدَةٍ، وَلَمْ يُدْرِكوا ذلكَ البارِحَةَ بِسَبَبِ الظَّلامِ.

تَعَجَّبَ الضُّيوفُ مِنْ صَنيعِهِما، فَقالَ العَجوزُ: أَنْتُم عابِرو سَبيلٍ، وَأَنْتُم ضيوفُنا، وَمِنْ حَقِّ الضَّيْفِ عَلَيْنا أَنْ نُكْرِمَهُ، وَأَنْ نُوَفِّرَ لَهُ كُلَّ أَسْبابِ راحَتِه، وَهذهِ عادَتُنا، وَهِيَ جُزْءٌ أَصيلٌ مِنْ خُلُقِنا وَدينِنا الّذي نَعْتَزُّ بِهِ.

وَدَّعَتِ العائِلَةُ العَجوزَيْنِ بِحَرارَةٍ وَأَلْسِنَتُهُم تَلْهَجُ بِالثَّناءِ وَالشُّكْرِ، وَهُمْ يُرَدِّدونَ: كَرَمٌ لَنْ نَنْساهُ.

الدَّرْسُ السّادِسُ

التِّلْميذُ وَشَيْخُهُ

كانَ شَيْخٌ يَتَمَشّى مَعَ تِلْميذِهِ في الْحُقولِ الْواسِعَةِ، فَأَبْصَرا حِذاءً قَديماً لِفَلّاحٍ، خَلَعَهُ مِنْ قَدَمَيْهِ؛ لِيُريحَهُما وَهُوَ يَتَناوَلُ طَعامَهُ.

قالَ التِّلْميذُ لِشَيْخِهِ: دَعْني أُخَبِّئْ حِذاءَ الْفَلّاحِ، وَنَنْظُرُ ماذا سَيَفْعَلُ.

قالَ الشَّيْخُ: لَيْسَ مِنَ الْخُلُقِ في شَيْءٍ أَنْ نَتَلَهّى بِما يُزْعِجُ النَّاسَ، وَلَكِنْ عِنْدي فِكْرَةٌ أُخْرى، هَيّا نَضَعْ خَمْسَةَ دَراهِمَ في كُلِّ فَرْدَةِ حِذاءٍ، وَنُراقِبْ رَدَّةَ فِعْلِ الْفَلّاحِ.

أُعْجِبَ التِّلْميذُ بِفِكْرَةِ شَيْخِهِ، وَبَعْدَما وَضَعا الدَّراهِمَ جَلَسا وَراءَ جِذْعِ شَجَرَةٍ كَبيرَةٍ يُراقِبانِ.

بَعْدَ دَقائِقَ انْتَهى الْفَلّاحُ مِنْ طَعامِهِ، وَذَهَبَ؛ لِيَنْتَعِلَ حِذاءَهُ، وَكانَتِ الْمُفاجَأَةُ: خَمْسَةُ دَراهِمَ في كُلِّ فَرْدَةٍ، إِنَّها عَشَرَةٌ كامِلَةٌ!

عَلى الْفَوْرِ جَثا الْفَلّاحُ عَلى رُكْبَتَيْهِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلى السَّماءِ، وَقالَ: أَشْكُرُكَ يا خالِقي وَرازِقي، فَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ أَوْلادي جَوْعى، وَهذا مالٌ يَكْفيهِمْ لِأَكْثَرَ مِنْ يَوْمَيْنِ.

الْتَفَتَ الشَّيْخُ إِلى تِلْميذِهِ، وَقالَ: أَلَسْتَ أَكْثَرَ سَعادَةً مِمّا لَوْ طَبَّقْنا اقْتِراحَكَ الْأَوَّلَ؟ قالَ: بَلى. قالَ الشَّيْخُ: بَعْضُ النّاسِ لا يُراعونَ مَشاعِرَ الْآخَرينَ، وَهَمُّهُمُ التَّسْلِيَةُ بِهِمْ، وَهُمْ بِذلِكَ يُؤْذونَهُمْ، وَالْعاقِلُ مَنْ يَبْحَثُ عَمّا يُسْعِدُ غَيْرَهُ، وَتَذَكَّرْ نَصيحَةَ حَكيمٍ: " لِيَكُنْ حَظُّ أَخيكَ مِنْكَ ثَلاثَ خِصالٍ: إِنْ لَمْ تَنْفَعْهُ فَلا تَضُرَّهُ، وَإِنْ لَمْ تَسُرَّهُ فَلا تَغُمَّهُ، وَإِنْ لَمْ تَمْدَحْهُ فَلا تَذُمَّهُ".

أَدْهَم الشَّرْقاوي(بِتَصَرُّفٍ)

الدَّرْسُ السّابِعُ

السَّمَكاتُ الثَّلاثُ

قالَ حَكيمٌ لِأَحَدِ الْمُلوكِ: لَقَدْ رَأَيْتُ أَنَّ الشَّخْصَ الْعاجِزَ هُوَ الَّذي يَظَلُّ مُتَرَدِّداً فَلا يُنْجِزُ أَمْراً، وَيَتَمَنّى الْأَماني حَتّى يُهْلِكَ نَفْسَهُ، وَمَثَلُهُ مَثَلُ السَّمَكاتِ الثَّلاثِ. فَسَأَلَهُ الْمَلِكُ: وَما حِكايَتُهُنّ؟

قالَ: عاشَتْ ثَلاثُ سَمَكاتٍ في مَجْرى ماءٍ صَغيرٍ، وَكانَتِ الْأُولى حازِمَةً، وَالثّانِيَةُ أَقَلَّ مِنْها حَزْماً، وَالثّالِثَةُ مُتَرَدِّدَةً، وَكانَ ذلِكَ الْمَكانُ مَهْجوراً، لا يَكادُ يَقْرُبُهُ أَحَدٌ مِنَ النّاسِ.

وَفي أَحَدِ الْأَيّامِ مَرَّ صَيّادٌ في طَريقِهِ مِنْ هُناكَ، وَشاهَدَ السَّمَكاتِ الثَّلاثَ، فَأَسْرَعَ يُحْضِرُ شِباكَهُ؛ لِيَصيدَها.

لَمّا رَأَتْهُ السَّمَكَةُ الْحازِمَةُ أَدْرَكَتْ هَدَفَهُ؛ فَأَسْرَعَتْ مُبْتَعِدَةً نَحْوَ مَدْخَلِ الْماءِ إِلى النَّهْرِ.

وَأَمّا الْأَقَلُّ حَزْماً فَانْتَظَرَتْ حَتّى جاءَ الصَّيّادُ، فَلَمّا رَأَتْهُ قَدْ سَدَّ مَخْرَجَ الْماءِ الْمُؤَدّيَ إِلى النَّهْرِ، وَعَرَفَتْ ما يُريدُهُ بِها قالَتْ: أَنا الْمَلومَةُ؛ لِأَنَّني تَرَدَّدْتُ، وَهذِهِ عاقِبَةُ التَّأْجيلِ، لكِنْ يَنْبَغي عَلَيَّ أَنْ أَجِدَ حيلَةً، ثُمَّ ادَّعَتْ أَنَّها مَيِّتَةً، وَراحَتْ تَطْفو عَلى وَجْهِ الْماءِ مُنْقَلِبَةً، فَأَخَذَها الصَّيّادُ، فَرَماها عَلى الْأَرْضِ غَيْرَ بَعيدٍ عَنِ النَّهْرِ، فَوَثَبَتْ، وَسَبَحَتْ، وَنَجَتْ مِنْهُ.

وَأَمّا السَّمَكَةُ الثّالِثَةُ فَلَمْ تَزَلْ تَروحُ وَتَجيءُ حائِرَةً مُتَرَدِّدَةً حَتّى صادَها، وَهذِهِ عاقِبَةُ التَّرَدُّدِ، وَلكِنّ الْحَزْمَ يُنْقِذُنا مِنَ الْخَطَرِ قَبْلَ وُقوعِهِ.

(كَليلَة ودِمنة/ بتصرّف)

الدَّرْسُ الثّامِنُ

نَظَرَتْ إِلَيْهِ وَلَمْ تُعاتِبْهُ!

عَلى عادَتِها كُلَّ صَباحٍ تَسْتَيْقِظُ أُمُّ عادِلٍ مُبَكِّرةً، فَتُصَلّي، ثُمَّ تَتَناوَلُ فَطورَها مَعَ أُسْرَتِها، وَتُهَيئُ نَفْسَها لِلْخُروجِ إِلى عَمَلِها.

سارَتْ بِضْعَ خُطُواتٍ أَمامَ الْمَنْزِلِ، فَإِذا كيسٌ مَنَ الْقُمامَةِ قَدْ تَناثَرَتْ مُحْتَوَياتُهُ في أَماكِنَ مُتَفَرِّقَةٍ، وَقَدْ تَجَمَّعَتْ حَوْلَهُ مَجْموعاتٌ مِنَ الْقِطَطِ، تَتَصارَعُ عَلى بَقايا الْفَضَلاتِ الْمُبَعْثَرَةِ.

انْزَعَجَتْ مِنْ هذا الْمَنْظَرِ الْكَريهِ، وَأَخَذَتْ تُسائِلُ نَفْسَها: مَنْ يُمْكِنُ أَنْ يَقومَ بِهذا الْفِعْلِ غَيْرِ اللّائِقِ؟ أَلا يَرى أَنَّ حاوِياتِ الْقُمامَةِ قَريبةٌ، وَلا تَبْعُدُ عَنِ الْمَنازِلِ سِوى أَمْتارٍ عِدّةٍ ؟!

كَظَمَتْ غَيْظَها، وَجَمَعَتِ الْفَضَلاتِ، وَتَوَجَّهَتْ إِلى عَمَلِها، وَعِنْدَ عَوْدَتِها في الْمَساءِ لَمَحَتِ ابْنَ الْجيرانِ الصَّغيرَ يُطِلُّ مِنْ شُرْفَةِ مَنْزِلِهِ، يَحْمِلُ كيساً مِنَ الْقُمامَةِ، يُلْقيهِ عَلى الْأَرْضِ بَعْدَ أَنْ تَأَكَّدَ مِنْ خُلُوِّ الشّارِعِ مِنَ الْمُشاةِ.

نَظَرَتْ إِلَيْهِ أُمُّ عادِلٍ، وَلَمْ تُعاتِبْهُ أَوْ تُوَبِّخْهُ، وَأَحْضَرَتْ كيساً، وَشَرَعَتْ في جَمْعِ الْفَضَلاتِ، حينَئِذٍ شَعَرَ الطِّفْلُ بِالارْتِباكِ، وَاحْمَرَّ وَجْهُهُ خَجَلاً، وَانْطَلَقَ إِلى داخِلِ الْبَيْتِ مُسْرِعاً.

وَمُنْذُ ذلِكَ الْيَوْمِ لَمْ تَعُدْ أُمُّ عادِلٍ تَجِدُ فَضَلاتِ الطَّعامِ أَمامَ الْمَنْزِلِ، غَيْرَ أَنَّهُ وَفي أَثْناءِ خُروجِها صَباحاً إِلى عَمَلِها، فوجِئَتْ بِالصَّغيرِ يَنْتَظِرُها أَمامَ مَنْزِلِها؛ لِيُقَدِّمَ اعْتِذارَهُ عَمّا صَدَرَ مِنْهُ.

وَضَعَتْ أُمُّ عادِلٍ يَدَها عَلى رَأْسِ الصَّغيرِ، وَحرّكَتْها بِحنانٍ، وَقالَتْ: أَنْتَ طِفْلٌ مُؤَدَّبٌ، وَعَلَيْنا أَنْ نَتَعاوَنَ جَميعاً؛ كَيْ تَظَلَّ أَحْياؤُنا نَظيفَةً.

الدَّرْسُ التّاسِعُ

حُسْنُ الظَّنِّ

هَبَّتْ عاصِفَةٌ شَديدَةٌ على سَفينَةٍ في عُرْضِ البَحْرِ فأَغْرَقَتْها ونَجا بَعْضُ الرُّكابِ، مِنْهُم رَجُلٌ أَلْقَتْ بِهِ الأَمْواجُ عَلى شَاطِئِ جَزيرَةٍ مَجْهولةٍ ومَهْجورةٍ، وما أَنِ اسْتَفاقَ مِنْ إِغْمَائِهِ، حَتى رَفَعَ يَدَيهِ وَطَلَبَ مِنَ اللهِ الْعَوْنَ والمُساعدةَ.

مَرَّتِ الأَيّامُ والرَّجُلُ يَقْتَاتُ مَنْ ثِمارِ الشَّجَرِ وما يَقْدِرُ عَلى اصْطِيادِهِ مِن أَرانِبَ، ويَشْرَبُ مِن جَدْوَلِ مِياهٍ قَرِيبٍ، كَانَ يَنامُ في كوخِهِ الصَّغِيرِ الْذي بَناهُ مِنْ أَعْوادِ الشَّجَرِ؛ لِيَحْتَمِيَ مِنْ بَرْدِ اللَّيلِ وحَرِّ الشَّمْسِ.

وَذاتَ يَوْمٍ، أَخَذَ الرَّجلُ يَتَجَوَّلُ في الْغابةِ بَعيداً عَنْ كوخِهِ، رَيْثَما يَنْضَجُ طَعامُ الْعَشاءِ، وعِنْدَما عادَ، فوجِئَ بِأَنَّ النّارَ الْتَهَمَتْ كوخَهُ.

فَأَخذَ يَصْرُخُ: لِماذا يا رَبِّ؟ حَتّى الكوخِ احْتَرقَ، لَمْ يَتَبَقَّ لي شَيْءٌ وَأَنا غَريبٌ في هذا الْمَكانِ، لِماذا، يَا رَبِّ، كُلُّ الْمَصائِبِ تَحُلُّ بِيَ؟!

وَمِنْ شِدَّةِ التَّعَبِ نامَ الرَّجُلُ عَلى رَمْلِ الشّاطِئِ، مُتَجاهِلاً جوعَهُ وَوَحْدَتَهُ وَبَرْدَ اللَّيْلِ.

وفِي الصَّباحِ اسْتَيقَظَ عَلى صَوْتٍ يَقُولُ: انْهَضْ يَا أَخي، لَقَد كَانَ صَوْتَ أَحَدِ الأَشْخَاصِ الْذين أَتَوْا؛ لِيُنْقِذوهُ مِنْ مِحْنَتِهِ. صَعِدَ الرَّجُلُ سَطْحَ السَّفينةِ، وأَخَذَ يَسْأَلُ مَنْ فيها: كَيْفَ عَثَرتُم عَليَّ؟ فَأَجابُوهُ: لَقد رَأَيْنا دُخاناً يَتَصاعَدُ مِنَ الْجَزيرةِ، فَعَرَفْنَا أَنَّ هُناكَ مَنْ يَطلُبُ الإِنْقاذَ.

الدَّرْسُ العاشِرُ

حِكْمَةُ جَدّتي

في لَيالي الشِّتاءِ الباردَةِ، عِنْدَما كانَتْ تَشْتَدُّ العَواصِفُ، وَيَشْتَدُّ انْهِمارُ المَطَرِ في الخارِجِ، وَيَنْقَطِعُ التَيّارُ الكَهْرَبائِيُّ، كانَتْ جَدّتي تُشْعِلُ قِنْديلَها الكازِيَّ، وَتَدْعونا إِلى اجْتِماعٍ دافِئٍ قُربَ المِدفَأَةِ، وبَعْدَ أَنْ تَضَعَ حَبّاتِ الكَسْتَناءِ عَلى سَطْحِ المِدْفَأةِ، تُسنِدُ ظَهْرَها إِلى مِسنَدٍ، وَنَسْتَنِدُ نَحنُ جَميعُنا عَلَيْها، وَتَبْدَأُ في سَرْدِ حِكاياتٍ تَطولُ وَتطولُ، وَدائماً يَنْتَصِرُ فيها المَظلومُ عَلى الظّالِمِ، وَالحَقُّ عَلى الباطِلِ، وَتَخْتِمُها بِحكمةٍ مِنْ وَحْيِ ما حَكَتْ، وَلَعلَّ حِكْمَتَها الشّهيرَةَ الّتي تقولُ:" إذا رَفَعْتَ صوتَكَ فهذا لا يَعني أَنّكَ على حَقٍّ، فَالحَقُّ صَوتُه أَعْلى مِنْ كُلِّ الأَصْواتِ". هذِهِ الحِكْمَةُ ما زالَتْ هِيَ الْميزانُ الّذي أَضَعُ عَلَيْهِ مَواقِفَ كَثيرَةً تُواجِهُني يَوماً بَعدَ يَومٍ.

اليومَ لَم يَعُدِ الشّتاءُ مُمتِعاً، وَصارَتِ لَياليهِ مُتعِبَةً جِدّاً، وَمُمِلَّةً وَكَسولةً، وأَمطارُه قليلةً، وَثلوجُهُ ضَعيفةً، تَذوبُ مَعَ أَوّلِ نَسْمَةِ هَواءٍ وَلَفْحَةِ حَرارَةٍ.

جَدَّتي صارَتْ في عالَمٍ آخَرَ، وَتَرَكَتْ لَنا في زَوايا غُرْفَتِها دَفْتَرَ حِكاياتِها الَّذي تَعْلوهُ حِكْمةٌ شَهيرَةٌ: "صَوْتُ الْحَقِّ أَعْلى مِنْ كُلِّ الْأَصْواتِ".